الجماهيري... فسواء فشلت ' فتح' المؤيدة لمسار السلام، أو ' حماس' ومنظمات اليسار المعارضة له في جهودها باخراج الجماهير الى الشارع، وتركت الجماهير للنواة الصلبة للانتفاضة مهمة الحفاظ على استمراريتها بواسطة سماتها الارهابية» (يديعوت احرونوت، ١٥/١٢/١٩٩٢).

ولعلّ أفضل توضيح لوجهة النظر هذه هو التحليل الواقعي، والقريب من الدقة، لابعاد المواجهة بين الطرفين كما عرضه النائب السابق لرئيس بلدية القدس، ميرون بنبينستي، بقوله: «ان المواجهة بين جيش نظامي وسكان مدنيين ليست حرباً، وقمع انتفاضة بأيدي جيش تابع لدولة ديمقراطية، لا يسمح بالاستخدام المنفلت للاسلحة النارية. وبالرغم من مئات القتلى وعشرات الآلاف من الجرحى، ظلت الانتفاضة مقصورة في إطار العنف المنضبط، الذي حرص عليه الطرفان بالرغم من الاحساس بوجود حرب لا هوادة فيها. ولو كان الاسرائيليون لا يفكرون الاّ على أساس اعتبارات فرض حسم بالقوة مستخدمين الوسائل التي في حوزتهم، لكانت الانتفاضة غارقة في دماء الفلسطينيين. ولكن مع ذلك، فإن الاستخدام غير المنضبط للاسلحة النارية هو أمر غير مشروع في المجتمع الذي يقول بأنه ينتمي الى العالم الغربي، الليبرالي؛ وربما الاهم من ذلك، ان تصعيد فرض الحسم بالقوة، كان سيخلق ثغرات في جدار الاجماع الاسرائيلي، بل وربما كان سيضع نهاية له. والفلسطينيون في غالبيتهم العظمى أدركوا، أيضاً، انه لا ينبغي عليهم خلق استفزازات عنيفة أكثر من اللازم، لأن هذه الاستفزازات ستزيد من وحدة المجموعة اليهودية، وستزيل الموانع الأخلاقية التي حالت دون استخدام القوة بشكل منفلت؛ وهو الامر الذي كان من شأنه انزال كارثة بالفلسطينيين. وهذه الخطوط الحمر قيّدت حدود المواجهة، وحوّلت الانتفاضة الى نزاع بقوة محدودة، لا يؤدي الى الحسم. ويقوم كل طرف بالاستفادة من ميزته النسبية: المسيطر يستفيد من قوته العسكرية؛ والمسيطَر عليه من الرأي العام العالمي الذي يثور للمساس بمدنيين أبرياء. واستمرار هذه المواجهة تحوّل من ' الحدث' الى نمط حياة، أساسه الصراع الدائم بين طائفتين متناحرتين؛ الانفصال المادي؛ بلورة أساطير حول مقدّسين معذبين؛ وعنف يتفشّى ليشمل العلاقات داخل الطوائف، وليس، فقط، في ما بينها» (هآرتس، ١٦/١٠/١٩٩٢).

الميزان

تعدّدت التقييمات، أيضاً، لميزان السنوات الخمس للانتفاضة. فهناك مَنْ اعتبرها في حالة تعادل مع الاحتلال الاسرائيلي، وهناك مَنْ رأى ان مكاسبها تفوق خسائرها، بينما ارتأت فئة ثالثة العكس من ذلك تماماً. ففي افتتاحيتها، تحدّثت «هآرتس» عن حالة التعادل بقولها: «لم تنجح سنوات الانتفاضة الخمس في طرد الحكم الاسرائيلي من الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة. من الجهة الاخرى، لم ينجح الجيش الاسرائيلي وأجهزة الامن الاخرى في التغلب على الانتفاضة الشعبية في المناطق المحتفظ بها. ومَنْ يلقي نظرة الى مسار المواجهة يضطر للوصول الى استنتاج مفاده: ان الميزان، بمصطلحات القوة، يشير الى عدم الحسم. فلم يُجبر أي طرف على الاعتراف بالهزيمة، بينما لا يستطيع أي من الطرفين الادعاء بالانتصار على الخصم» (المصدر نفسه، ٧/١٢/١٩٩٢).

واذا كانت غالبية الآراء تتفق مع هذا التقييم، فان غالبية الجدل تركّز حول اخفاقات وانجازات الانتفاضة، ومغزى وأبعاد نتائجها، ودور ذلك في السياق التاريخي العام للصراع.

الانجازات

لقد اتفقت غالبية الآراء على وجود بعض الانجازات، بشكل أو بآخر، للانتفاضة. لكن الخلاف تمحور حول مغزى وأبعاد تلك الانجازات. وفي هذا السياق، رأى أحد المحلّلين الاسرائيليين، ان الفلسطينيين «نجحوا في طرح مشكلتهم على جدول الاعمال الدولي، ودفعوا الادارة الاميركية الى التدخل الفعلي بأحداث المنطقة، خصوصاً في المناطق [المحتلة]. ونجحوا، في نهاية الامر، في جرّ حكومة الليكود، رغماً عنها، الى مائدة المفاوضات، وربما ساهموا، أيضاً، في اسقاط حكومة اليمين. ومن هذه النواحي جميعاً هناك أساس للادعاء ان الميزان، في نهاية السنة الخامسة للانتفاضة، يميل الى الجانب الفلسطيني...» (ران كاسليف، المصدر نفسه،